ـ « يستطيعون واي استطاعة · فعندما يبدأون بزرع الالغام في الطريق لك · وينهبون المستوطنات ، وفي كل فرصة تلوح لهم ـ فانك ستشعر عندها بهم جيدا » ·

ـ « هؤلاء ؟ » ·

ـ « لم لا ؟ اهم اصغر مما يجب ، ام انهم ابرياء اكثر مما يجب ؟ وعلاوة على ذلك ، فلا بد وان يكون بينهم صعلوكان او ثلاثة دائما ، وربما اكثر ، لا تعرف بوجودهم ايضا » ·

ـ « انها مجرد تخمينات » ، قلت ·

ـ « ماذا تقترح اذن ؟ » قال يهودا ·

ـ « هذا ما لا اعرفه بعد ··· » ·

ـ « اذا كنت لا تعرف ـ فاصمت اذن » ، قال يهودا ·

ويبدو ان هذه النصيحة كانت تجّمل بي منذ البداية · ولكنني كنت مثقلا بما اقوله · وكنت قد نطقت ولم اعرف كيف اسكت · ولانه لم يكن ثمة من اشتكيه امري ـ شرعت بالتشكي لنفسي احدثها : « هي ذي الحرب ! احرب هي ام ليست حربا ؟ فان حربا كانت ففي الحرب اذن كما هو في الحرب (صوت ثان : حرب ؟ ضد من ، اضد هؤلاء ؟)ـ الصوت الاول (مواصلا كمن لم يسمع شيئا) : الابرياء الكاملون بالقطع ليسوا هنا (اذن اين هم ؟) ··· حتى وان كانت نيتنا سليمة ومستقيمة وصادقة ـ فلا يمكن لك ان تدخل الماء وتخرج دون ان تتبلل (عجب عجاب !) · ان تدرك وتوافق بانه يتحتم علينا ان نفعل ـ شيئا ، وان نقوم ونغلظ القلب ، ونرتكب من الافعال ما هب ودب ـ فهذا شيء آخر دائما ··· ومن ثم ، من ذا الذي ينبغي عليه ان يجهد نفسه ويغلظ قلبه ؟ ـ فهو بالطبع غليظ ، لا ابالي ـ لا ابالي ·وقفة قصيرة · وعلى الفور ، وبحنق الاعتذار الذي يتحول الى هجوم مضاد : اذن فان تلك القرى التي اخذناها بعصف الحرب لم تكن شيئا آخر ؟ او اولئك الذين فروا وخوف خفي يلاحقهم ؟ او قرى اللصوص التي ما نهاية سدوم بكثيرة عليها ـ لم تكن كلها سوى شيء آخر تماما ! ··· ولكن ليس هذا ··· ليس هذا ··· فان ثمة شيئا لا يزال مبهما · نوع من الشعور السيء فقط · كما لو كانوا يفرضون عليك كابوسا مزعجا ، ولا يدعونك تستيقظ · انك مشوش بعدة اصوات · انك لا تعرف ماذا · قد يكون ذلك ان تنهض ، ان تنهض وتعترض ؟ او ربما كان ذلك ، العكس ، ان ترى ، وتوجد ، وتحس حتى النزيف ، كي ·· كي ماذا ؟ يمر الوقت ·الوقت يمر · يا ابن آدم (وقفة عاطفية) · انك لمخلوق ضعيف · (وقفة اخرى) · فلتثر ولتتفجر · (ايتها النفس الجميلة · ايتها النفس الجميلة ·ايتها النفس الجميلة !) ·

كان الازدحام قد ازاد تحت الجميزة في تلك الاثناء · كان قد اصبح في الدائرة عشرات كثيرة ، ربما مئة شخص · فاذا ما وقفت على الحياد ونظرت متغاضيا عن الظروف ، فبامكانك ان تخطىء بكل سهولة ، وتتذكر ايام السوق الريفية · او ايام المولد النبوي ، او ربما الاحتفال بنبي ما او شيخ ، حين كان الجميع يتجمهرون بالازدحام نفسه ، تحت كل شجرة فارعة ، وفي كل ظل ، وينتظرون بحشد محتفل ثقيل الحركة ، كالعجين المتخثر ، لا يبالي بالذباب ولا بالروائح الكريهة ولا بالعرق المتصبب ولا بالازدحام والضجيج ، شريطة ان يحدث ذلك الشيء الاحتفالي الذي ينتظرونه ـ غير